

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } * { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } *
{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (1-3)

النصر: التغلب على العدو، والإعانة على بلوغ الغاية، ومنه قولهم: قد نصر الغيث الأرض، أى: أعان على إظهار نباتها.

والمراد به هنا: إعانة الله - تعالى - لنبية صلى الله عليه وسلم على أعدائه، حتى حقق له النصر عليهم.

والفتح: يطلق على فتح البلاد عُنْوَةً والتغلب على أهلها، ويطلق على الفصل والحكم بين الناس، ومنه قوله - تعالى -:

{ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ }

والمراد به: هنا فتح مكة. وما ترتب عليه من إعزاز الدين، وإظهار كلمة الحق.

قال الإمام ابن كثير: والمراد بالفتح هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم - أى: تنتظر - بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت - أى: اجتمعت - جزيرة العرب على الإيمان، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة.

والأفواج: جمع فوج، وهو الجماعة والطائفة من الناس وقوله { فَسَبِّحْ } جواب إذا.

والمعنى: إذا أتم الله - عليك - أيها الرسول الكريم - وعلى أصحابك النصر، وصلت لكم الكلمة العليا على أعدائكم، وفتح لكم مكة، وشاهدت الناس يدخلون في دين الإسلام، جماعات ثم جماعات كثيرة بدون قتال يذكر.

إذا علمت ورأيت كل ذلك، فداوم وواظب على تسبيح ربك، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به شكرا له على نعمه، وداوم - أيضا - على طلب مغفرته لك وللمؤمنين.

{ إنه { عز وجل - { كان { وما زال { توابا { أى: كثير القبول لتوبة عباده

التائبين إليه، كما قال - سبحانه -:

{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من عباده التائبين توبة صادقة نصوحا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.